فلنتفق على هدف الاسلام

للاستاذ أحمد الشرباصي

يا أيها الناس ! . .

دعوني أسألكم : ما هو الإسلام ؟ وقد يكون فيكم من يعجب أو يغضب لتوجيه هذا السؤال ويقول : أبعد ألف سنة من نزول القرآن ، وبعد ألف كتاب في شرح الإسلام ، وبعد آلاف من الخطب والمقالات والبحوث في توضيح شريعة محمد عليه الصلاة والسلام تسائلنا . ما هو الإسلام ؟.

ولكن الحقيقة المؤلمة أيها الناس هي أننا لم نتفق بعد على فهم الإسلام وتحديد معناه ومغزاه ؛ فمثلا قوم سيقت إليهم الدنيا بحذافيرها ، فهم يتمتعون ويسرفون ، ويطغون في شهواتهم ولا يتذكرون ، ، ويتوسعون في فهم الإسلام توسعاً خاطئاً فيرونه دين تساهل وسماحة وتناس وغفران لحسب ؛ ويرددون لتسويغ مايرون : « إن الله غفور رحيم » « إن الله يغفر الذنوب جميعاً » ، « ورحمته وسعت كل شيء » ، ويستشهدون مثلا بأن سليمان عليه السلام سأل ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فلم إذن لا تكون دنيا هؤلاء مليئة بالرغبات واللذات؟!. وهكذا يسرفون في التأويل أو التحريف حتى يحتفظوا بما في أيديهم من قوة وجاه ومال ومتاع .

وفي مقابل هؤلاء قوم حرموا من الدنيا ولذتها والحياة وبهجتها ، فزهدوا زهد ضعف وافتقار ، وتقشفوا عن عجز لا عن اقتدار ، فتراهم يفهمون الإسلام فهما خاطئاً كذلك ، إذ يعتبرونه دين ذلة ومسكنة ، وفقر وبطالة ، وكسل وخمول ، وتراهم يرددون في ذلك قوله تعالى : « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو » وقول الرسول : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها » وقوله « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وهكذا تراهم حين فقدوا الحياة العاملة الكاملة يضيقون على الناس مسالكهم ؛ ويشوهون أمامهم دنياهم ، وكأنهم يأبون إلا أن يتساوى جميع الخلق معهم في العجز والافتقار !.

وبين هؤلاء وهؤلاء قوم حيارى مذبذبون ، لا يستقرون على حال ، ولا ينتهون إلى مآل . هم لا يجدون كل شيء ، ولا يحرمون من كل شيء ، فإذا وجدوا ما أرادوا تمتعوا وارتعوا ، وعربدوا وأفسدوا ، وضلوا في الاستشهاد فرددوا : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ؟ وإذا جرت عليهم الأقدار يوما بحرمان ، فحالت بينهم وبين ما يشتهون ، نسوا رأيهم القديم واصطنعوا لهم في الدين رأيا جديداً ، فتظاهروا بالتقشف كذبا وتحدثوا عن الزهد باطلا ورياء ، ورددوا قول الرسول : « لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » وهكذا يظل ذلك الفريق مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء !

فهل يقال مع ذلك الاختلاف إننا قد اتفقنا على فهم الإسلام وتحديد مغزاه ؟!

وهناك اختلاف كبير آخر حول الإسلام الغريب في بلاده

هذا الفقير وهو أبو الرجاء . وأن هذا الفقير كان صديقاً للبوصيري . كأنما البوصيري كان نبياً يقول بأمور لا قصدقها غير أبي الرجاء ، ومن ثم أطلق عليه لقب « الصديق »

وتفيدنا هذه القصة أن أبا الرجاء الصديق هذا قد شارك البوصيري في رؤية الرسول وأنه كان حاضراً حينما أنشدها الشاعر ورأى النبي يتمايل تمايل الأغصان المثمرة . وأن هذا الصديق هو الذي رأى النبي وهو يلقي على البوصيري البردة . أي أن موضوع البردة هنا من عند أبي الرجاء الصديق وليس من عند البوصيري .

ولا شك في أن هذا كله مختلق وموضوع وأنه من نسج الخيال . ولقد أسعفوا في الكذب والاختلاق فرووا أن البوصيري لما وصل إلى قوله :

« فبلغ العلم فيه ، أنه بشر فقال له النبي : قل يا إمام .

فقال البوصيري : « إني لم أوفق للمصراع الثاني » فقال النبي : قل يا إمام « وأنه خير خلق الله كلهم » . فأدمج البوصيري هذا المصراع في قصيدته . وكل هذا إفك وبهتان . والعجب لمن لا يتورعون عن الكذب على رسول الله !

« يتبع » محمد سيد كيلاني

فقوم ذوو بصائر يؤمنون بالاسلام ديناً ودولة ، وقيادة وسيادة، ويجاهدون في سبيل ذلك بما يملكون ، ويبذلون من أجله ما يبذلون ، وينفسح أمامهم الطريق فيسيرون ، وتعترضهم ظلمات البغي فيصبرون ، وبجوارهم قوم آخرون أقل منهم قدراً وأضعف شأناً ، فهم يؤمنون في قرارة نفوسهم بأن الإسلام هو صمام الأمان ومنحة الإطفاء ، وزورق النجاة وقارورة الدواء ؟ ولكنهم خانعون قانعون شغلتهم بوارق من دنياهم عن تبعات جلى تناديهم وخافوا الناس والله أحق أن يخافوه ، فتراهم يسكتون ويسالمون ويتابعون وإن انطوت نفوسهم على غير ما يظهرون .

وفي مقابل هؤلاء وهؤلاء قوم ارتفعوا واستلأوا وعلوا سواهم وهم يرون في سيادة الإسلام الصحيح عليهم وعلى غيرهم من الناس حداً من شهواتهم ، ومقاسمة منه في بعض أموالهم ، وتسوية لهم بغيرهم ، ومؤدبا لجبروتهم وطغيانهم ، وهم قوم قد استلذوا ما هم فيه سادرون ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، وإذن فليكونوا حربا على الإسلام ، وعلى كل من يدعو إلى الإسلام . .

وتراهم في خبثهم يعملون جاهدين لكي يقتصر أمر الإسلام على ركيعات تؤدى أو خطبة تقال أو احتفال يقام ، وكأن الإسلام عندهم كهنوتية بالية أو رهبانية فانية ؛ مع أنه جاء ليكون مصباح الظلام ومصدر الأحكام ومعقد الزمام : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

أفيقال بعد ذلك الاختلاف البين إننا متفقون على معنى الإسلام؟

يجب أولا وقبل كل شيء أن نتفق في الاسلام على كلمة جامعة مانعة بعد أن ننفي عنه ما ليس منه ، وبذلك نستبين طريق الرشاد . يجب أن نتفق على أن الإسلام عبادة وعمل ، وجسم وروح ، وتهذيب وحكم ، وقيادة وسيادة ، جاء ليصلح النفس ويقوم الفرد ويربي الأسرة ويسوس الأمة ويخفف آلام العالم ! .. جاء ديناً وسطاً عدلا ، لا يفرط ولا يفرط ، فأباح لك أن تجمع ولا تكنز ، وأن تأكل ولا تتخم ، وأن تنفق ولا تسرف ، وأن تتجمل ولا تتخنث ، وأن تكسب وتزكي ، وأن تثرى ولا تتفحش ، وأن تسمو إلى العلا وتعدل . وهكذا تراه يدعوك إلى كل ما ينفعك ويقومك ، ويصدك عن كل ما يضرك ويرديك : « إن الله بالناس لرءوف رحيم » ! .

جاء الإسلام ليملك أن تكون على خير في سائر أحوالك التي تتقلب عليك في دنياك ، فغنى مع شكر وإحسان ، وفقر مع صبر وإيمان ، وقوة مع تواضع واجتهاد ، ومرض مع احتمال وعلاج ؛ لأن الذي خلق الداء خلق الدواء ، ورضا بالقضاء والقدر مع السعي والاكتساب ، واتكال على الله مع أخذ بالوسائل والأسباب ، وأنت في كل هذه الأحوال مأجور مشكور ، مؤيد بحفظ الله ورعايته ، موعود بفضله ونعمته ، قد سخر لك ما في الأرض والسماء ، وأعانك في السراء والضراء ، ما دمت تخلص النية وتريد وجه الله : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » .

هذا هو الإسلام أيها الناس ، ولو أنكم فهمتموه على هذا الوضع ، ونفذتموه عن إخلاص ، لكان لكم في الكون شأن غير هذا الشأن ، وسلطان غير السلطان ، ولعز المسلمون بين الأنام كما عز لهم أسلاف وأجداد من قبل ، يوم كان القرآن هو أول صوت يسمع ويطاع ، فإذا أمر الله فقد خضعت الرقاب وذلت الأعناق وانتهى الجدال .

إلى الإسلام أيها الناس ! . .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

الإدارة الهندسية بالشرقية

نشر بالاعلان رقم ٥٣٥٥ بالعدد الماضي من الفقرة ٣ — جلسة ١٦ / ٨ / ١٩٥٠ والصواب جلسة ١٩ ـ ٨ ـ ١٩٥٠